

246-حلاوة الترك

(012) سورة يوسف

2026-09-11

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الأكارم: لربما صليت يوماً صلاةً مُتَقَنَةً خاشعةً فذُقت حلاوتها في قلبك، ولربما دفعت يوماً مالا تُساعد به فقيراً فملا الله قلبك سكينَةً. لعلك أصلحت يوماً بين مُتخاصمين فامتلاً فؤادك رضاءً وسروراً بصلاح أمرهما، لكن هل ذُقت يوماً حلاوة الترك؟ أن تتزك شيئاً لله، أن تدع شيئاً تُحبه وتشتيه نفسك، تدعه ابتغاء وجه الله وابتغاء رضوانه، تتركه في سبيله، فتجد حلاوة ذلك في قلبك، أن يُعرض عليك مالٌ من حرامٍ فتركه لله، أن تتزك علاقةً تُبعدك عن الله، أن تتزك كلمةً تكذب بها لتخرج من موقفٍ مُحرجٍ، فترتكها لله وتتحمل تبعات صدقك. هل سألنا أنفسنا يوماً ماذا تركنا لله؟ ما الذي تركناه ابتغاء رضوان الله؟ أيها الإخوة الكرام: يقول نبينا صلى الله عليه وسلم:

{ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ

أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ }

(أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد)

ينبغي عليك أن يكون الله ورسوله أحب إليك ممَّا سواهما عند التعارض:

لو سألت اليوم مليار مُسلم، هل الله ورسوله أحب إليك أم ما سِوَاهُمَا أحب إليك؟ أم المال أحب إليك؟ أم الشهوة المُحرَّمة أحب إليك؟ أم العلو في الأرض أحب إليك؟ قلبي؟ لقال كل مُسلم بلسان مقاله فوراً: بل الله ورسوله أحب إلي قلبي، فهل ذاق كل المؤمنين حلاوة الإيمان؟ ليس هذا هو المعنى، المعنى كما قال مُفسِّروا الحديث، أن يكون الله في قرآنه وأن يكون رسوله في سنَّته أحب إليك ممَّا سواهما عند التعارض. لو جاءك مالٌ من ربا، مالٌ من حرام، رشوة مُحَرَّمة، والله تعالى يقول لك: لا تأخذها، ورسوله يقول لك: لا تأخذها، فتعارضت مصلحتك المُتوهمة، لأنَّ المصلحة لا تكون إلى في رضا الله، المصلحة كلها في شرع الله، لكن توهمت أن مصلحتك في هذا المال تُكف به كُربتك ثم تركته لوجه الله تعالى، عندها تذوق حلاوة الإيمان، تركت لله، لم تُقل بلسانك: الله ورسوله أحب إلي، لكن قُلت بحالك وبعملك، الله ورسوله أحب إلي من المال الحرام، الله ورسوله أحب إلي من الشهوة المُحرَّمة، الله ورسوله أحب إلي من المنصب، قُلتها بلسان حالك لا بلسان مقالك فقط، عندها تذوق حلاوة الإيمان، هذه حلاوة الترك، أن تتزك شيئاً.

الكسب يُعطي حلاوةً وإذا كان من حرامٍ يُعطي لَذَّةً:

كل الناس إذا كسبوا شيئاً ذاقوا حلاوته، الكسب يُعطي حلاوةً وإذا كان من حرامٍ يُعطي لَذَّةً. لا أقول حلاوةً يُعطي لَذَّةً مؤقتةً لأنه أخذ، لكن هل ذُقت حلاوة أن تتزك؟ المال بين يديك وتستطيع أن تأخذه ولا أحد يُجاسبك، لكنه مالٌ حرام فتركته لله، هذه حلاوة الترك، أن يتزك الإنسان شيئاً لله، صحيح أن إعطاء النفس ما تُريده وتركها لما تشتهيه دون صوابٍ ولا حدود فيه لَذَّةً، ولكنها لَذَّةٌ مؤقتة لربما تعقبها كآبةٌ مُدْمِرة، كم من إنسان لم يتزك، أقبل على المعصية فذاق لذتها ثم بعد ذلك أورتته ذلاً طويلاً، **ألا يا رَبِّ شَهْوَةٍ أَوْرَثَتْ ذُلًّا طَوِيلًا**، شهوةٌ مُحَرَّمة أورتته ذلاً، أورتته انكساراً بين الخلق ثم أورتته عذاباً من الله تعالى.

كل فعلٍ نفعله في الحقيقة يقابله تركٌ:

أيها الإخوة الكرام: إن كل فعلٍ نفعله في الحقيقة يقابله تركٌ، يقابله شيءٌ تركناه لله، وهذا ما يُكسبه القيمة العظيمة في نفوسنا وعند الله.

الصلاة فعلٌ لكن أيضاً فيها معنى الترك:

الصلاة مثلاً، الصلاة فعلٌ لكنها أيضاً تركٌ في سبيل الله، فأنت تكون في مجلس والحديث يُدار، وفي المجلس متعةٌ وتُتابع شيئاً، ثم تترك وتقوم لتُصلي، إذاً تركت لله، فالصلاة فيها تركٌ، أنت تترك شيئاً لله، تكون في عملك، تكون في فراشك عند صلاة الفجر فتترك فراشك وتقوم، هذا تركٌ في سبيل الله.

الصدقة فعلٌ لكن أيضاً فيها معنى الترك:

الصدقة هي فعلٌ، هي إعطاء المال للفقير، ولكن هي في حقيقتها أيضاً تركٌ للمال، فأنت لديك مئة تركت عشرتها منها وأعطيتها للفقير، فأنت تخلّيت عن شيءٍ، فذلك تذوق حلاوة الصدقة، لأنّ فيها معنى الترك لله، أنك تترك شيئاً تُرضي به ربك، تتخلّى عنه وأنت تُحبّه إرضاءً لخالقك، الصيام يتجلى فيه معنى الترك، تترك الطعام، تترك الشراب، تترك الشهوة الحلال، تتركها أيضاً في سبيل الله.

{ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ إِنَّمَا يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي فَصِيَامُهُ لَهْ وَأَنَا

أَجْزِي بِهِ كُلُّ حَسَنَةٍ بَعِشْرٍ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَّا الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ }

(أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد)

الصيام فعلٌ لكن أيضاً فيه معنى الترك:

كثيرٌ من المسلمين يسألون، لماذا الله اختصّ الصوم من بين العبادات؟ الصلاة لله، والحج لله، والصدقة لله، فلماذا قال: **(إِلَّا الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)** التعليل في تمة الحديث، قال: **(إِنَّمَا يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي)** يترك، هنا النقطة المفصلية، يترك لأنّ معنى الترك واضحٌ في الصيام، ولأنّ الإخلاص فيه عظيم، لأنّ الإنسان لا يترك شيئاً إلا وفي الأعم الأغلب يكون مُخلصاً فيه لوجه الله الكريم، يدعُ طعامه، يدعُ شرابه، يدعُ شهوته، إرضاءً لله تعالى، فقال: **(إِلَّا الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)**.

الحج فعلٌ لكن أيضاً فيه معنى الترك:

أيها الإخوة الكرام: والحج أفعالٌ وأقوال، ووقوفٌ بعرفات، ومبيتٌ ورميٌ للجمرات، وإحرام، لكنه في حقيقته أيضاً تركٌ للأهل، وتركٌ للأوطان، وتركٌ لبعض المال، وكله في سبيل رضا الرحمن، فكل العبادات فيها معنى أن تترك شيئاً لله تعالى.

أربعة أمورٍ تزيدنا مثابرةً على أن نترك لله:

أيها الإخوة الكرام: السؤال الآن: ما الذي يجعلنا، نحنُ، يزيدنا مثابرةً على أن نترك لله؟ أن نعقل أربعة أمور:

أولاً: أُمِرنا أن نترك ما نَقْدِرُ عليه لا ما نَعْجِزُ عنه

الأمر الأول أننا أُمِرنا أن نترك ما نَقْدِرُ عليه لا ما نَعْجِزُ عنه، هذه الأولى، أننا أُمِرنا أن نترك شيئاً نَقْدِرُ على تركه، ولم نؤْمَر أن نترك شيئاً نَعْجِزُ عن تركه، سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، أُمِر أن يترك ابنه بواقي غير ذي زرع مع زوجته ثم يعود، وقَدَّرَ على ذلك، ثم أُمِر أن يتخلي نخلتاً تاماً عن ابنه وأن يذبحه، فَقَدَّرَ على ذلك، نحن لم نؤْمَر بكل ذلك، لم نؤْمَر أن نتخلي عن إبنائنا، ولا عن زوجاتنا، لم نؤْمَر أن نتخلي عن حلال، لم نؤْمَر أن نتخلي عن شيءٍ نُحِبُّه أنفسنا فيه طَيِّبٌ لها وفيه خيرٌ لها، لم نؤْمَر بذلك، لم يأْمُرنا الله تعالى بالتخلي عن كل شيءٍ أبداً، لكنه أَمَرنا أن نتخلي وأن نترك الحرام فقط، فذلك لم نؤْمَر بشيءٍ خارج وسعنا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا تُكَالِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42)

(سورة الأعراف)

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا:

كثيرون لا يتركون، فإذا سألتهم مثلاً من الشباب، لماذا لا تترك النظر الحرام؟ يقول لك: لا أقدر، كيف لا تقدر وغيرك من الشباب يقدر؟ إذا قلت له لماذا لا تترك الرشوة؟ يقول لك: لا أستطيع، راتبتي لا يكفي، لكن غيرك يعيش بهذا الراتب، والله يُبارك لو فيه، فلماذا تأخذ الحرام؟ أنت لا تُقدِّر الأشياء التي تستطيعها أو لا تستطيعها، بل الله تعالى هو مَنْ يُقدِّر الوُسْع وحده جلّ جلاله، وقال لك: **(لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** لم يُكَلِّفك الله شيئاً خارج وسعك.

أول أمرٍ من أجل أن تُثابر على الترك، أن تُدرك أننا لم نؤْمَر بشيءٍ لا نستطيعه أبداً، أو لم نؤْمَر بشيءٍ خارج وسعنا، وأي إنسان يقول لك لا أستطيع، قل له: أنت لا تُريد، أنت تستطيع لكنك لا تُريد، فرقٌ كبير بين لا أستطيع ولا أريد، لكن الناس لا يُحبّون كلمة لا أريد أن أفعل، لا أريد أن أترك، يقول لك: لا أستطيع أن أترك الشهوة، لا أستطيع، أنت لا تُريد أن تتركها، المُستحيل ليس هو الشيء الذي لا تستطيع فعله، لكنه الشيء الذي لا تُريد أن تفعله في حقيقة الأمر، فكل تكاليف الله ضمن وسعنا، كل تركٍ يمكن أن نتركه، يقول لك: عندي إدماً على هذا الأمر لا أستطيع تركه، قل له: غيرك استطاع لأنّ الله لا يُكَلِّفك خارج وسعك، هذه الحقيقة الأولى.

ثانياً: عندما نترك شيئاً أَمَرَ الله بتركه إنما نتركه ضماناً لسلامتنا لا حداً لحريتنا

الأمر الثاني من الأمور التي تدفعنا إلى المثابرة والعمل على الترك في سبيل الله تعالى، أننا عندما نتزك شيئاً أمَرَ الله بتركه، إنما نتركه ضماناً لسلامتنا لا حداً لحريتنا، نتركه ضماناً لسلامتنا، وليس حداً لحريتنا، أرايت لو أنك تسير بسيارتك في طريق ما، وفوقك جسرٌ قد وضع عليه رقم أربعة ضمن لوحة مرورية، ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أن ارتفاع الجسر عن الأرض أربعة أمتار، وأنت تقود شاحنة ارتفاعها خمسة أمتار، فهل تقف أم تتابع؟ تقف فوراً وتأخذ طريقاً آخر، لماذا؟ لأنك أدركت أن هذه اللوحة وضعت ضماناً لسلامتك وليست حداً لحريتك، فلو أكملت سترطيم بالجسر.

عندما نسير في الشارع ونجد محولاً كهربائياً كبيراً قد وضع عليه لا تقترب، انترك الاقتراب، خطر الموت، فأنت تتزك، تتزك فتشعر بأن ذلك يحذو من حريتك أم تشعر أن ذلك يضمن سلامتك؟ كل أوامر الدين، وكل ما أمرنا أن نتخلى عنه وأن نتركه من الحرام، إنما أمرنا بذلك ضماناً لسلامتنا لا حداً لحريتنا، والإنسان يحب أن يضمن سلامته وأن يضمن سعادته، ولا يكون ذلك إلا بفعل ما أمَرَ الله وترك ما نهى الله تعالى عنه.

لم يُحَرِّم الله عَزَّ وَجَلَّ إلا خبيثاً يُبعدنا عن الجنة:

أيها الإخوة الكرام: قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكْنُوتًا عِنْدَهُمْ فِي الْوُزَارَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجَلُّ لَهُمُ
الْمَلِئِكَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْإَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)

(سورة الأعراف)

لم يُحَرِّم جلَّ جلاله إلا خبيثاً، لم يُحَرِّم إلا خبيثاً يُبعدنا عن الجنة، ولم يُحَلَّ إلا طيباً يُقرِّبنا من الجنة، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى النَّارِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، إِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ تَقَتْ
فِي رَوْعِي : أَنْ نَفْسًا لَا تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاجْعَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ }

(أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم والطبراني)

أوامر الدين كلها، نواهي الدين كلها، ضماناً لسلامتنا وليست حداً لحريتنا.

ثالثاً: لن تتزك شيئاً إلا عَوْضَكَ الله خيراً منه

الأمر الثالث في الأمور التي تجعلنا أكثر تمسكاً بالترك في سبيل الله تعالى، أنه لن تتزك شيئاً إلا عَوْضَكَ الله خيراً منه، مستحيل أن تتزك شيئاً لله ثم لا يُبَدِّلَكَ الله ما هو خير لك، في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما، وكفى بالآخرة لو لم تُبَدَّلْ بالدنيا شيئاً ملموساً مادياً، فكفى بما يُبَدِّلَكَ الله به من ثواب في الآخرة، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:

{ أَنْكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ }

(أخرجه أحمد)

مهما كان صغيراً، قريباً من حرام، نظره من حرام، منصّب في الأرض لا يرضى الله (أَنْكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ) سيُبَدِّلَكَ الله خيراً، ربما سَكِينَةً، ربما رِضًا، ربما بُيُوتَكَ على عملك، ما معنى الثواب أيها الكرام في اللغة؟ نقول: نَابَ الرَّجُلُ إِلَى رُشْدِهِ، أي رَجَعَ إِلَى رُشْدِهِ، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ جَعَلْنَا النُّبْتَ مَنَابِتَ لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)

معنى "مثابة للناس":

ما معنى مثابة للناس؟ يرجعون إليه حيناً بعد حين، المؤمن يذهب إلى الغمرة، يذهب إلى الحج، يعود فتثوب نفسه وتتوق نفسه إلى العودة مرةً أخرى، يقول له الزائرون: عُقبى للعودة، لا أحد يزور فرنسا ثم يعود فيقول له الناس: عُقبى للعودة، المؤمنون طبعاً، لكن ما من أحد يزور بيت الله الحرام، إلا يرجع فتتوق نفسه إلى العودة، ويقول له الناس: نسأل الله أن يرزقك العودة، لماذا؟ لأنَّ الله جعل فيه سبباً في التقرب إليه، والصلة بين العبد وربِّه **(وَإِذْ جَعَلْنَا النَّبِيَّ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ)** والله تعالى يُثَبِّتُكَ عندما تتزك شيئاً له، ما معنى يُثَبِّتُكَ؟ يعود عليك هذا العمل بالخير، يرجع إليك هذا العمل بالخير، فتعصُّ بصرك عن الحرام فيُثَبِّتُكَ.

أيها الإخوة الكرام: يقول المُصطفى صلى الله عليه وسلم:

{ النظرَةُ سهْمٌ مسمومٌ من سهامِ إبليسَ من تركَه خوفاً من الله آتاهُ اللهُ إيماناً يجدُ حلاوته في قلبه }

(أخرجه الحاكم)

هذه حلاوة الترك، هو تركَ لله، غصَّ بصره عن محارمِ الله، لم يُطْلِق بصره في أعراضِ الناس، الآن سيُثَبِّتُه الله، سيُرْجِع له ثواب عمله، فيجد في قلبه حلاوةً تُغنيه عن هذا النظرِ المُحَرَّم تفوق سعادتها لذة النظرِ أصعافاً مُضاعفة.

رابعاً: نتزك لأنَّ الله الخير أمرنا أن نتزك

أيها الإخوة الكرام: الأمر الرابع وهو الأهم، النقطة الرابعة من الأمور التي تجعلنا أكثر تمسكاً بالترك في سبيل الله وهي الأهم، أننا نتزك لأنَّ الله الخير أمرنا أن نتزك، لئلا يكون الولد بائراً بوالده، مُحْتَباً له، مُدركاً كم يُحِب والده مصلحته، وكم صَحَّى من أجله، وكم يُرِيد له الخير، وكم يَسْرُّه أن نتزك هذا الأمر من أجله، فيتزك الابن، فنقول له: لماذا تركت وأنت تُحِب ذلك؟ لماذا تركت هذا السفر وأنت تُحِبُّه؟ لماذا تركت هذا المنصب وأنت تُحِبُّه؟ يقول لك: لا أريد أن أحزن والدي، يكفي أنَّ والدي طلب مِنِّي، فأنا والله عندما أرضيه أجد حلاوةً في قلبي، لأنه سُرَّ لعملي.

ألا يكفي أنَّ الخير جلَّ جلاله قال لك: انزك لتتزك؟ فتشعر بالحلاوة في قلبك، أنَّ الله الذي خلقك، ورزقك، وأعطاك، ووهبك، وأمَدَّك بالصحة والعافية، وهداك إلى الإسلام، وهبك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد، ألا يكفي أن تشعُر بالحلاوة في قلبك لأنك تركت ذلك إرضاءً لقن تُحِب، ولو لم تفهم الحكمة من ذلك؟ لكنك تركت لله، هذه هي النقطة الرابعة وهي نقطة مهمة جداً.

أمثلة من الحديث الشريف في حلاوة الترك:

أيها الإخوة الكرام:

{ أن رجلاً قال: يا رسول الله إنَّ لفلانٍ نخلة، وأنا أقيم حائطي بها - هو يُريد أن يبني بُستانه فواجهته نخلة لفلانٍ من الناس -

فأمره أن يُعطيني حتى أقيم حائطي بها - يستغني عن النخلة حتى أستطيع أن أبني بُستاني - فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

أعطها إياه بنخلٍ في الجنة - هب له النخلة، انزك نخلتك والثواب نخلةً بديلُها في الجنة - فأبى - رفض الرجل، والنبي صلى الله عليه وسلم حاشاه أن يتعدى على حقوق الخلق، أعطاه عرضاً، العرض بسيط، قدَّم نخلةً في الدنيا ومقابلها تأخذ نخلةً في الجنة، الرجل قال: لا

أعطيه نخلتي، فتركه النبي صلى الله عليه وسلم - فأناه أبو الدحداح فقال: يعني نخلتك بحائطي - أعطني النخلة وخذ بُستاني كله،

هذه نخلةٌ غالبيةٌ جداً، خُذ البُستان وأعطني النخلة - ففعل الرجل - أخطأ خطأً جسيماً، يُشبه إنساناً عَرِضَ عليه بيع سلعةٍ بمليون ثم باعها

بدرهمٍ، لكن هكذا يُريد باع نخلته ببُستان - فأنى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني قد ابتعتُ النخلة - اشتريت

النخلة من الرجل - بحائطي - قدَّمْتُ له بُستاني وأخذت النخلة - قال: فاجعلها له - أعطها للرجل الذي يُريد أن يبني بُستانه - فقد

أعطيتُها - وهبتك النخلة يا رسول الله فأعطها للرجل - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم مِن عِدقٍ رداحٍ لأبي

الدحداح في الجنة - عذِّق أي غصن النخلة المُثْمِر، رداحٍ أي مُنْقَل ثَقِيل - قالها مراراً - جعل يكررها صلى الله عليه وسلم - قال: فأنى

أمرأته فقال: يا أم الدحداح اخزجي من الحائط فإني قد بعته بنخلٍ في الجنة، فقالت: ربح البيع، أو كلمةٌ تُشبهها {

(رواه أحمد وصحَّحه الألباني)

ما الذي فعله أبو الدرداج؟ تَخَلَّى عن بستان لكنه أدرك أن ذلك في وسعه، وأدرك أنَّ فعله ذلك يضمن سلامته وسعادته ولا يحد حريته، وأدرك أنَّ الله سيعوضه خيراً منه في دينه ودينياه وآخرته، وأدرك أنَّ في ذلك كله إرضاءً لله تعالى ولرسوله وكفى بذلك أثمًا للإخوة الأحياء:

{ أَنَّ ضُهِيبًا حِينَ أَرَادَ الْهَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ لَهُ كَقَارَ قَرِيشٍ : أَتَيْتُنَا مَعْلُوكًا، فَكُنْتُ مَالِكٌ عِنْدَنَا - كُنْتُ فَقِيرًا فَكُنْتُ مَالِكٌ عِنْدَنَا - وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ، ثُمَّ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي أَتُخْلُونَنِي؟ - انظُرُوا إِلَى التَّرِكِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُمْ مَالِي - تَخَلَّى عَنْ مَالِهِ كُلِّهِ لِيُهَاجِرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: رِيحٌ ضُهِيبٌ، رِيحٌ ضُهِيبٌ { (صحيح ابن حبان)

ريح ضُهِيبٌ، تَخَلَّى لِلَّهِ لَكِنَّهُ كَسِبَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَصَدَّقَ فِيهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَعَاءَ مُرْضَاتِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (207)

(سورة البقرة)

مَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ التَّرِكِ فَإِنَّهُ لَا يَعْدِلُهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا:

ما الذي فعله يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؟ تركَ لله، لَمَّا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ الْمُحَرَّمَةُ:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَرَأَوْدُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَنَاقِي ۚ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ (23)

(سورة يوسف)

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (33)

(سورة يوسف)

فمكَّن الله له في الأرض.

أُثِمَّ الْكَرَامُ: فَعَلِ الْمُحَرَّمَاتَ لَهُ لَذَّةٌ، لَكِنْ مَن ذَاقَ حَلَاوَةَ التَّرِكِ إِرْصَاءً لِلَّهِ، مَن ذَاقَ سَعَادَةَ الْإِنْتِصَارِ عَلَى الْذَاتِ، مَن ذَاقَ شُعُورَ التَّسَامِي عَلَى الشَّهَوَاتِ، مَن ذَاقَ سَكِينَةَ التَّخَلُّصِ مِنْ أَسْرِ الدُّنْيَا، الدُّنْيَا تَأْسِيرُنَا بِشَهَوَاتِهَا، مَن ذَاقَ سَكِينَةَ التَّخَلُّصِ مِنْ أَسْرِهَا وَشَهَوَاتِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَعْدِلُهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مَهْمَا كَانَ كَبِيرًا.

أُثِمَّ الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَدْ تَخَطَّأَ إِلَى غَيْرِنَا وَسَيَخْطِئُ غَيْرَنَا إِلَيْنَا فَلْنَجِدْ جُذْرَنَا، الْكَيْسُ مَن دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَن أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي، وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.
اللهم برحمتك عَمَّنَا، واكفنا اللهم شرَّ ما أَهَمَّنَا وأَعَمَّنَا، وعلى الإسلام والإيمان والكتاب والسنة توقُّفًا، نلّفاك وأنت راضي عَنَّا.
اللهم اغفر لنا ما قَدَّمْنَا وما أَخَّرْنَا وما أَسْرَرْنَا وما أَعْلَنَّا وما أنت أعلم به مِنَّا، أنت المُقَدِّمُ وأنت المؤخِّرُ وأنت على كل شيء قدير.
اللهم إِنَّا نسألك الجنة وما قَرَّبَ إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من النار وما قَرَّبَ إليها من قولٍ وعملٍ.
اللهم فارح الهم كاشف الغم، مُجيب دُعاء المُضطربين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنا، ارحمنا برحمةٍ من عندك تُعِينَا بها عَمَّن سواك.
اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تُعَذِّبنا فإنك علينا قادر، والطُف بنا وجميع المسلمين فيما جَزَتْ به التقادير ودَبَّرَ لنا فإننا لا نُحْسِن التديب.
اللهم كُنْ لأهلنا في فلسطين وفي غزّة، عوناً ومُعِيناً وناصراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.
اللهم أطعم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتَقَبَّلاً وسهماً صالحاً يا أكرم الأكرمين.
اللهم كُنْ لأهلنا في اليمن، اللهم كُنْ لأهلنا في السودان، اللهم كُنْ لأهلنا في كل مكانٍ يُذكر فيه اسمُك يا الله.
اللهم ارزقهم الصبر والسكينة والرضا والثبات.
اللهم عليك بأعدائهم فإنهم لا يعجزونك.
اللهم عليك بالصهيانية المُعتدين ومَن والاهم ومَن أَيَّدَهُم ومَن وقف معهم في سرٍّ أو علَن.
اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك وانصرنا على أنفسنا وعلى شهابتنا حتى نستحق أن تنصرنا عليهم، أنت وليّ ذلك والقادر عليه.
اللهم أصلح الراعي والرعيّة، واجعل بلادنا آمناً وسخاءً ورخاءً يا أرحم الراحمين، وصلِّ وسلم وبارك على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.